ومِمَّا يُخالِفُ ذَلِكَ

«الفرق» بين الطَّيْشِ والسَّفَه أن السَّفَه نقيضُ الحِكْمَة على ما وصفنا، ويُسْتعارُ في الكلام القبيح فيقال سَفه عليه إذا أسمعه القبيحَ، ويقال للجاهل سَفِيهٌ، والطَّيْشُ خفة معها خطأ في الفعل، وهو من قولك طَاشَ السَّهْمُ إذا خَفَّ فمضى فوق الهَدفِ فشبَّه به الخفيف المفارق لصَوابِ الفِعْلِ.

«الفرق» بين السُّرْعَة والعَجلة أن السُّرْعة التَّقَدُّمُ فيما ينبغي أن يتقدم فيه وهي محمودةٌ ونقيضُهَا مذمومٌ وهو الإبْطَاءُ، والعجلة: التقدم فيما لا ينبغي أن يتقدم فيه وهي مذمومة، ونقيضها محمود وهي الأَنَاةُ، فأما قوله تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه:٨٤] فإنَّ ذلك بمعنى أَسْرَعْتُ.

البَابُ الخَامِسَ عَشَرَ

في الفرق بَيْنَ الحِفْظ والرِّعَايَة والحِرَاسَة وما يَجْري مَعَ ذَلِكَ وَفي الفَرْقِ بَيْنَ الضَّمَانِ والوَكَالَة والزَّعَامَة وما يَقْرُبُ مِنْ ذَلِكَ

«الفرق» بين الحِفْظِ والرِّعَايَة أن نقيضَ الحفظِ الإضَاعَةُ ونقيض الرِّعايةِ الإهْمَالُ ولهذا يقال للماشية إذا لم يكن لها راعٍ هَمَلٌ والإهْمَال هو ما يؤدي إلى الضَّياع، فعلى هذا يكونُ الحفظ صرف المكاره عن الشيء لئلا يهلك، والرعاية فعل السبب الذي يصرف المكاره عنه، ومن ثَمَّ يقال: فلان يرعى العُهودَ بينه وبين فلان أي يحفظ الأسباب التي تبقى معها تلك العهود، ومنه راعي المواشي لتفقده أمورها ونفي الأسباب التي يخشى عليها الضَّياع منها، فأما قولهم للساهر أنه يرعى النجوم فهو تشبيهٌ براعي المواشي لأنه يراقبها كما يراقب الراعي مواشيه.

«الفرق» بين الحفظ والكَلاءَة أن الكَلاءَةَ هي إمالةُ الشيء إلى جانب يسلم فيه من الآفة، ومن ثَمَّ يقال كَلأْت السَّفِينَة إذا قَرَّبتها إلى الأرض، والكَلاءَ مَرْفَأُ السفينة، فالحفظُ أعَمُّ لأنه جنسُ الفعل، فإن استعملت إحْدَى الكلمتين في مكان الأخرى فلتقارب معنييهما.

«الفرق» بين الحِفْظِ والحِرَاسَة أن الحراسةَ حفظٌ مستمر، ولهذا سُمِّي الحارسُ حارسًا لأنه يحرسُ في الليل كله أو لأن ذلك صناعته فهو يديم فعله، واشتقاقه من الحرس وهو الدهر، والحراسة هو أن يصرف الآفات عن الشيء قبل أن تصيبه صرفًا مستمرًا فإذا أصابته فصرفها

عنه سُمِّي ذلك تَخْليصًا وهو مصدرٌ والاسم الخلاص ويقال: حَرَسَ الله عَلَيْكَ النِّعْمَةَ أي صرَفَ عنها الآفةَ صرفًا مستمرًا، والحفظ لا يتضمَّنُ معنى الاستمرار، وقد حفظ الشيء وهو حافظ والحفيظ مبالغة، وقالوا: الحفيظ في أسماء الله بمعنى العليم والشهيد فتأويله الذي لا يَعْزُبُ[1] عنه الشيء، وأصله أن الحافظ للشيء عالم به في أكثر الأحوال إذا كان من خفيت عليه أحواله لا يتأتَّى له حفظه، قال أبو هلال - أيده الله تعالى - والحفيظ بمعنى عليم توسُّع، ألا ترى أنه لا يقال أن الله حافظ لقولنا؟ وقدامنا على معنى قولنا فلان يحفظُ القرآنَ ولو كان حقيقة لجرى في باب العلم كلِّه.

«الفرق» بين الحَفِيظِ والرَّقِيبِ أن الرَّقِيبَ هو الذي يَرْقُبُكَ لئلا يَخْفَى عليه فِعْلَك وأنت تقول لصاحبك إذا فَتَّشَ عن أمُورِك أَرَقِيبٌ عليَّ أَنْتَ؟ وتقول: راقِبِ الله، أي اعلم أنه يراك فلا يخفى عليه فعلك، والحفيظ لا يتضمَّن معنى التفتيش عن الأمور والبحث عنها.

«الفرق» بين المُهيمِن والرَّقِيبِ أن الرقيبَ هو الذي يَرقُبكَ مُفَتِّشًا عن أمورِكَ على ما ذكرنا هو من صفات الله تعالى بمعنى الحفيظ، وبمعنى العالم؛ لأن الصفة بالتفتيش لا تجوزُ عليه تعالى. والمهيمن هو القائم على الشَّيْء بالتدبير، ومنه قول الشاعر:

أَلَا إن خَـيْرَ الـنَّـاس بَـعْـدَ نَبِيِّهم مُهَيْمِنُهُ التَّالِيهِ في العُرْفِ والنُّكْرِ

يريد القائم على الناس بعده، وقال الأصمعي ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨] أي قَفَّانًا والقَفَّانُ[2] فارسي معرَّب وقال عمر رضي الله عنه: إنِّي لأَسْتعيُن بالرجل فيه عَيْبٌ ثم أكون على قَفَّانه أي على تحفُّظ أخباره والقَفَّان بمعنى المُشْرِف.

«الفرق» بين الوكيل في صفات الله تعالى وبينه في صِفَاتِ العِباد أنَّ الوكيلَ في صفات الله بمعنى المُتولِّي القائم بتدبير خلقه، لأنه مالكٌ لهم رحيمٌ بهم، وفي صفات غيره إنما يعقد بالتوكيل.

«الفرق» بين الحِفْظِ والحِمايةِ أن الحمايةَ تكون لما لا يمكن إحْرَازُهُ وحَصْره مثل الأرض والبلد، تقول: هو يحمي البلدَ والأرضَ، وإليه حماية البلد، والحفظ يكون لما يحرز ويحصر، وتقول: هو يحفظ دَراهمَهِ ومتاعَه، ولا تقول يحمي دراهمه ومتاعه ولا يحفظُ الأرضَ والبلدَ إلَّا أن يقول ذلك عامِيٌّ لا يَعْرِفُ الكَلَامَ.

(١) لا يَعْزُبُ عنه الشيء: عَزَبَ الشَّيْءُ عُزوبًا أي بَعُدَ وخَفِي ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ:٣].

(٢) القفان: بفتح القاف وتشديد الفاء المفتوحة، أي الرئيس الذي يتتبَّع أمر غيره يُحاسبه.

«الفرق» بين الحِفْظِ والضَّبْطِ أن ضَبْطَ الشيء شدة الحفظ له لئلَّا يفلت منه شيء، ولهذا لا يستعمل في الله تعالى لأنه لا يخاف الإفلات ويستعار في الحساب فيقال فلان يضبطُ الحِسَابَ إذا كان يتحفَّظُ فيه من الغلطِ.

«الفرق» بين الكَفالة والضَّمان أن الكفالةَ تكونُ بالنفس، والضمانُ يكونُ بالمال، ألَا تَرَى أنكَ تقولُ: كَفلْتُ زَيْدًا، وتريد إذا التَزَمْتَ تَسْلِيمَهُ، وضَمِنْتُ الأرضَ إذا الْتَزَمْتَ أداءَ الأجْرِ عنها، ولا يقال كَفلتُ بالأرضِ، لأن عَيْنَها لا تغير فيحتاج إلى إحْضَارِها، فالضَّمَانُ التزامُ شَيْءٍ عن المضمون، والكَفالةُ التزامُ نَفْسِ المكفُول به، ومنه كَفلْتُ الغُلَام، إذا ضَمَمْتَهُ إليك لتَعُولَه، ولا تقول ضَمِنْتُه لأنك إذا طُولِبْتَ به لَزمك تَسْلِيمهُ ولا يلزمك تسليمُ شيءٍ عنه، وفي القرآن ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آل عمران:٣٧] ولم يقل ضَمنَها، ومن الدليل على أن الضَّمَانَ يكون للمالِ والكَفَالَة للنَّفْسِ، أن الإنسانَ يجوز أن يضمَنَ عَمَّنْ لا يعرفه، ولا يجوز أن يَكْفَلَ من لا يعرفه، لأنه إذا لم يعرفه لم يتمكَّن من تسليمه، ويصح أن يؤدي عنه وإن لم يعرفه.

«الفرق» بين الضَّمِين والحَمِيلِ أن الحَمالة ضمانُ الدية خاصَّةً، تقول حَملتُ حَمالةً وأنا حَمِيلٌ وقال بعضُ العرب: حَمَلْت دِمَاءً عَوَّلتُ فيها على مَالِي وآمالي، فقدمت مَالي وكُنْت من أكبر آمالي، فإن حملتها فكم من غَمٍّ شفيت وهَمٍّ كفيت وإنْ حال دون ذلك حَائِلٌ لم أذم يومك ولم أيأس من غدك، والضمان يكون في ذلك وفي غيره.

«الفرق» بين الرَّئيس والزَّعِيم أن الزَّعامةَ تفيدُ القوَّةَ على الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴾ [يوسف:٧٢] أي أنا قادر على أداء ذلك يعني أن يوسف زعيمٌ به لأنَّ المنادَى بهذا الكلام كان يؤدِّي عن يوسف عليه السلام، وإنما قال أنا قادرٌ على أداء ذلك لأنهم كانوا في زَمَنِ قَحْطٍ لا يقدر فيه على الطعام، ومن ثم قيل للرياسة الزاعمة وزَعيمُ القَوْمِ رَئيسُهُمْ لأنه أقْوَاهُمْ وأقدرُهُمْ على ما يريده، فإن سُمِّي الكَفيلُ زعيمًا فعلى جهة المجاز، والأصل ما قلناه، الزَّعامة اسم للسلاح كله وسُمِّي بذلك لأنه تقوَّى به على العَدوِّ والله أعلم.